العمل الإسلاميّ ودوره في مواجهة التحديات المعاصرة

أ. رقيّة بنت عبد الله بن محمد العسيري*

سلم البحث في ٢/٥/١٤٤٣هـ بسم الله الرحمن الرحيم اعتمد للنشر في ٥/٦/١٤٤٣هـ

ملخص البحث:

وضع الله في هذا الكون العديد من السنن الكونيَّة والشرعيَّة لتأملها، وحسن التعامل معها، ومعرفة الحكمة من وجود تلك السنن، والدين –لمن عرفه– فيه الخلاص من قيود البدع والخرافات والشركيات. وأتى معالجًا للكثير من القضايا الإنسانيَّة. وقد أتى هذا البحث لتسليط الضوء على أهميَّة العمل الإسلاميّ، ووضع أيدينا على مواضع الخلل والضعف لمواجهتها، والسعي للإصلاح والتسديد، والاستمرار قدمًا في مسيرة العمل الإسلاميّ، واستشعار أهميَّة كل فرد، وأن يحمل مسؤوليَّة عظيمة على عاتقة يجب أن يؤدِّيَها بالصورة المطلوبة منه. وكان **من أبرز النتائج:** أنه يمكن أن يؤدي العمل الإسلاميّ غاياته المنشودة من خلال تكاتف الجهود بين الأفراد والمؤسسات. والتمسك بالعقيدة الإسلاميَّة وقيم الأخلاق الرفيعة والاعتزاز بالهُويَّة الإسلاميَّة أمور تسهم في بناء جدار حصين ضد الغزو الفكري والأخلاقي. ومواصلة العمل من أجل الدين الإسلاميّ ورفع رايته، يكسب الإنسان حلاوة في الإيمان ويستشعر معها طعم الحياة ولذَّتها حتى يفارق الحياة. ووجود أي أمة وارتقاؤها يتوقف على ما تحمل من رسالة، وكلما ضعفت عن حمل تلك الرسالة أو تخلّت عن شيء منها نقصت قيمتها بقدر ذلك التخلّي.

الكلمات المفتاحيَّة: العمل الإسلاميّ، العمل الدعويّ، الدعوة إلى الله، التحديات الفكريَّة، التحديات الثقافيَّة، التحديات الحضاريَّة.

Summary:

God has placed in this universe many cosmic and legitimate years to meditate, to deal with it, to know the wisdom of the existence of those years, and the religion of those who knew him found that there is salvation from the constraints of innovations, superstitions and communism. This research came to highlight the importance of Islamic action, to put our hands on the flaws and weaknesses to confront them, to seek reform and repayment, to continue the process of Islamic action, to sense the importance of each individual and to hold a great responsibility on himself must perform it as required of him. **One of the most notable results was:** Islamic action can achieve its desired goals by joining forces between individuals and institutions. Adherence to Islamic faith, high moral values and pride in Islamic identity contribute to building a wall against intellectual and moral

* باحثة بكلية الدعوة وأصول الدين، جامعة أم القرى، بمكة المكرمة.

invasion. Continuing to work for the sake of Islam and raising its flag, man earns sweetness in faith and senses the taste and pleasure of life until he dies. The existence and advancement of any nation depends on the message it carries, and the more it weakens or abandons any of it, the less valuable it is.
Keywords: Islamic action, advocacy, advocacy, intellectual challenges, cultural challenges, cultural challenges.

المقدمة:

الإنسان المسلم مهما اختلف موقعه من العالم فإنه يحمل رسالة الهدايَة العظيمة التي لا بُـدَّ أن يوصلها إلى العالم، وأن يتّخذ كل الوسائل المتوفرة لديه لمعالجة قضايا أمته، فالعمل الإسلاميّ جدير بالاهتمام والسعي في معالجة القصور الكامن فيه؛ لأن القصور والنقص ليسا هما المشكلة، ولكن المشكلة العظمى الاستمراريَّة في الخطأ وعدم معالجته بالصورة الصحيحة، فهذه المعالجة واجبة وضروريَّة حتى يؤتي العمل الإسلاميّ ثماره اليانعة في كل مجال وفي كل قضيَّة، والعمل من أجل رفعة الإسلام واجب على كل مسلم، وهو لا يقف عند سقف معين، بل الواجب استنهاض الهمم للعمل لأجله.

مشكلة البحث:

تكمن مشكلة البحث في دور المسلم في معالجة ضعف العمل الإسلاميّ المعاصر علاوةً على الدور الكبير الذي يصنعه العمل الإسلاميّ لو أحسنا التعامل معه في معالجة الكثير من القضايا المعاصرة ويظهر ذلك من خلال الأسئلة التاليَة.

- ما العمل الإسلاميّ؟
- ما منهج السلف في العمل من أجل الإسلام؟
- ما مجالات العمل الإسلاميّ؟
- ما الغاية من العمل الإسلاميّ؟
- ما أسباب ضعف العمل الإسلاميّ المعاصر؟
- ما دور العمل الإسلاميّ في مواجهة التحديات المعاصرة؟

أهداف البحث:

يستهدف البحث الإجابة عن الأسئلة المطروحة سابقًا، وإيضاح طرائق معالجة ضعف العمل الإسلاميّ، وبيان ما للعمل الإسلاميّ من دور رائد في مواجهة التحديات المعاصرة.

منهج البحث:

اعتمدت على المنهج الوصفي في وصف الغاية من العمل الإسلامي، وبيان

منهج السلف الصالح في العمل الإسلامي، مع المقارنة بين واقعهم وواقعنا الحاضر لإنجاح الأعمال الخيرية والتطوعية ومدى الضعف الحادث في واقع العمل الإسلامي لدينا، وكذلك إيضاح بعض الطرق في مواجهة التحديات التي تواجه العمل الإسلامي، وبعض التوصيات التي يمكن أن يسلكها المهتم بالعمل الإسلامي للنهوض به، وتطويره والرقي به.

تقسيم البحث:

المقدمة. وفيها: مشكلة البحث: وأهدافه، ومنهجه، وخطته.

المطلب الأول: التعريف بالعمل الإسلاميّ.

المطلب الثاني: منهج السلف في العمل من أجل الإسلام.

المطلب الثالث: الغاية من العمل الإسلاميّ.

المطلب الرابع: مجالات العمل الإسلاميّ.

المطلب الخامس: أسباب الضعف في العمل الإسلاميّ المعاصر.

المطلب السادس: التحديات في طريق العمل الإسلامي وطرق مواجهتها.

الخاتمة: وفيها النتائج والتوصيات.

الدراسات السابقة:

• الاختلاف في العمل الإسلامي الأسباب والآثار، المؤتمر العلمي بين الاتفاق والافتراق، أ.د: ناصر العمر، ١٤٢٥هـ -٢٠٠٤م، تحدث البحث عن العمل الإسلامي وأسباب الافتراق وآثاره ونماذج تاريخية عن الافتراق، ولاحظت أنه يتفق مع بحث في جزء من المطلب الخامس وهو أسباب الضعف في العمل الإسلامي.

• الهيمنة الاقتصادية كأحد معوقات العمل الإسلامي، د: منى محمد عمار، جامعة الأزهر،كلية التجارة، ركز البحث على جانب الهيمنة الاقتصادية وبالأخص الجانب التكنولوجي وخطر الهيمنة الغربية على الدول النامية الإسلامية، ويتفق مع أحد عناصر بحثي وهو أحد التحديات التي تواجه العمل الإسلامي وهي التحديات الثقافية التي تواجه المجتمعات الإسلامية ومنها الإعلام ودوره الرائد في العمل الإسلامي.

• التساقط في العمل الإسلامي ودور العقيدة في معالجته، أمل أحمد حافظ، الجامعة الإسلامية، غزة، ١٤٣٢هـ -٢٠١١م.اشتملت الدراسة على التعريف بالعمل الإسلامي والتساقط وأقسام التساقط وأصنافه وآثاره، ودور العقيدة في مواجهة التساقط ويتفق مع بحثي من حيث التعريف بالعمل الإسلامي، وبعض النقاط في المطلب الخامس وهو أسباب الضعف في العمل الإسلامي.

المطلب الأول: التعريف بالعمل الإسلاميّ

هو نشاط كل أصحاب الفاعليَّة الموجودين على الساحة الإسلاميَّة، الذين يرون في الإسلام طريق الخلاص والنجاة، مع استشعارهم بحجم المسؤوليَّة التي تقوم على عاتقهم من أجل الإسلام ومن أجل نصرته ونصرة أهله[1]. ويمكن القول بأن العمل الإسلاميّ: هو كل جهد يكون من شأنه الارتقاء بالمسلمين والدعوة إلى الإسلام، واعتباره سبيل الخلاص من جميع المشكلات والمحن. وهنا أهم نقطة في تعريف العمل الإسلاميّ وهي الفاعليَّة، بحيث تكون هناك جهود ملموسة في العمل الإسلاميّ.

ولا يقتصر العمل الإسلاميّ على الأفراد فحسب، بل يجب أن تكون الفاعليَّة في المؤسسات التي تسهم بشكل أو بآخر في دعم المشاريع الإسلاميَّة، فالعمل للإسلام واجب لا مفرَّ منه، والاقتداء في ذلك بالنبي ﷺ والسلف الصالح والتنافس فيه مصداقًا لقول الله –عز وجل–: ﴿وفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنافَسِ المُتَنافِسُونَ﴾[المطففين: ٢٦]، وقال تعالى: ﴿وسارِعُوا إلى مَغْفِرَةٍ مِن رَبِّكُمْ وجَنَّةٍ عَرْضُها السَّماواتُ والأرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران:١٣٣]. وعلى كل مسلم أن يقتفي أثر النبي ﷺ في الدعوة على بصيرة قال تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إلى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف:١٠٨]

"قيل: معنى البصيرة الثبات في الدين، وقيل: البصيرة العبرة، كما يقال: أليس لك في كذا بصيرة؟ أي عبرة قال الشاعر: (في الذاهبين الأولين... من القرون لنا بصائر). فدلت الآيَّة أيضا على أن من لم يكن على بصيرة فليس من أتباع الرسول ﷺ، وأن أتباعه هم أولو البصائر. وأصل اللفظ من الظهور والبيان، فالقرآن بصائر أي أدلة وهدى وبيان يقود إلى الحق ويهدي إلى الرشد"[2].

المطلب الثاني: منهج السلف في العمل من أجل الإسلام

يفرض الإسلام على المسلمين العمل بشرعة الله العادلة، لإقامة مجتمع إسلامي يقوم على الكتاب والسنة. والمتأمل في حال الدول الإسلاميَّة التي لم تجعل كتاب الله وسنة رسوله ﷺ دستورها، بل تحتكم للنظم الوضعيَّة التي من صنعهم، يرى حدوث الخلل والتراجع في صفوف المجتمع المسلم في تلك الدول. فالدين الإسلاميّ هو الدين الذي اختاره الله لعباده يقول الله تعالى:﴿صُمٌّۢ بُكۡمٌ عُمۡيٞ فَهُمۡ لَا يَرۡجِعُونَ ١٨ أَوۡ كَصَيِّبٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَٰتٞ وَرَعۡدٞ وَبَرۡقٞ يَجۡعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمۡ فِيٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلۡمَوۡتِۚ وَٱللَّهُ مُحِيطُۢ بِٱلۡكَٰفِرِينَ ١٩﴾ [البقرة:١٨-١٩].

وقد رسم النبي ﷺ المنهج السليم الذي سار عليه السلف الصالح في العمل من أجل الإسلام حتى تظل رايته مرفوعة، وبين لهم أن طريقته هي أسلم طريقة، وأن رسالته أكمل الرسالات، وأن هذا الدين هو الدين الحقّ، فما داموا متمسكين به معتزين بانتسابهم إليه، فإن الله معهم معينهم وناصرهم ومؤيدهم بروح منه، قال تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [سورة المجادلة: ٢٢]، قال الطبري في تفسير: ﴿وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ﴾ يقول: وقوّاهم ببرهان منه ونور وهدى، وأما قول الله تعالى: ﴿أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ﴾ يقول: أولئك الذين هذه صفتهم جند الله وأولياؤه. ﴿أَلا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ﴾ يقول: ألا إن جند الله وأولياءه، ﴿هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾يقول: هم الباقون ال-مُنْجحون بإدراكهم ما طلبوا والتمسوا ببيعتهم في الدنيا، وطاعتهم ربهم.(٣)

وقد حث النبي ﷺ على العمل بروح الفريق الواحد، وهذا المنهج الذي رسمه نبي الرحمة هو المنهج الرائد الذي يجمع المجتمع الإسلاميّ الواحد تحت رايَّة واحدة، وهي رايَّة التوحيد والعقيدة والتي مكنت أفراده من الاستخلاف في الأرض، فقد وعدهم الله بذلك فقال -جل شأنه-: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [النور: ٥٥]. وفي هذا الزمن كثرت المذاهب والطرائق فكانت الحاجة ملحة لمعرفة منهج السلف، لأن طريقهم طريق النجاة من النار.

والأمَّة الإسلاميَّة بحاجة إلى قيادة واعية مخلصة وموجهة تساهم في النهوض بالعمل الإسلاميّ، كقيادة النبي ﷺ لأصحابه، إنّ قيادة الرسول ﷺ لصحابته كانت من منطلق الدعوة والتربيَة لا الزعامة والسلطة، وكان للقرآن أكبر الأثر في هذه الزعامة والمتأمل في منهج النبي ﷺ في التوجيه والإرشاد يرى أنه كان يسعى إلى سد كل ثلمه في جدار الإسلام بالحكمة والموعظة الحسنة، بأسلوب متدرج، لا ينتقل من مرحلة إلى مرحلة أخرى قبل اكتمال الأولى، وسار على هذا النهج السلف الصالح من بعده، بعد أن أهّلهم بمؤهلات تضمن لهم قيادة الأمَّة، وأصبح القادة السلف هم القطب الرئيس في توجيه الأفراد والتأثير فيهم من أجل سلامة الدين

وسلامة المعتقد. حيث أثمرت تربيَة معلم البشريَّة محمد ﷺ.

وحينما تجتمع القيادة والقرآن تسلك الأمَّة مسلك النجاح الذي يحفظ على الأجيال المتعاقبة البقاء تحت ظل مدرسة محمد ﷺ، ويبقى الإيمان صافيًا لا تشوبه أدنى شائبة. وقد ظهرت مظاهر الوعي والرقيّ في منهج السلف في العمل من أجل الإسلام وشعورهم بحق الجماعة، وتصرفهم في حدود التعاون الاجتماعي، والسعي لجعل المجتمع متراصًّا لا ثغرة فيه ولا خلل، وبهذا المقياس ترتقي الحضارات وتتقدم الأمم ويعظم الدين في نفوس الناس. "قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡ كَٰفِرِينَ ١٠٠ وَكَيۡفَ تَكۡفُرُونَ وَأَنتُمۡ تُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمۡ رَسُولُهُۥۗ وَمَن يَعۡتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدۡ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ١٠١ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢ وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءٗ فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنٗا وَكُنتُمۡ عَلَىٰ شَفَا حُفۡرَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنۡهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ١٠٣ وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ١٠٤ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخۡتَلَفُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ١٠٥ يَوۡمَ تَبۡيَضُّ وُجُوهٞ وَتَسۡوَدُّ وُجُوهٞۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسۡوَدَّتۡ وُجُوهُهُمۡ أَكَفَرۡتُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡ فَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡفُرُونَ ١٠٦ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبۡيَضَّتۡ وُجُوهُهُمۡ فَفِي رَحۡمَةِ ٱللَّهِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ١٠٧﴾ [آل عمران: ١٠٠-١٠٧].

فهذه الآيات تدعو إلى اجتماع الكلمة بالاعتصام بحبل الله المتين والتحذير من الدسائس التي تحاك ضد المسلمين، وتدعو إلى الفخر بالوحدة والإيمان، وأن أخوة الدين من أجلّ النعم على المسلمين، كما حملت التذكير بالهدف الأساسي للعيش في هذه الحياة فقال جل شأنه: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٤]"[٤]

ويسرد لنا التاريخ بعض المواقف التي تحذر من الفرقة والاختلاف وعواقبهما على المجتمع والأمَّة كلها، قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران:١٠٥]، فالله تعالى يقول للمؤمنين: لا تكونوا كاليهود والنصارى الذين تفرقوا في الدين واختلفوا فيه بسبب اتباع الهوى من بعد ما جاءتهم الآيات الواضحات: ﴿وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[٥] أي: لهم بسبب الاختلاف عذاب شديد يوم القيامة.

ومن العقوبات القدريَّة التي ينزلها الله بالناس إذا انحرفوا عن طريقه، ولم يعتبروا بآياته، الرجم ينزل من فوقهم "كالذي نزل بقوم لوط أو بالخسف يقع من تحت أرجلهم كالذي وقع لقارون"[٦]،قال تعالى:﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ وَكَانُواْ شِيَعٗا لَّسۡتَ مِنۡهُمۡ فِي شَيۡءٍۚ إِنَّمَآ أَمۡرُهُمۡ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ١٥٩﴾[الأنعام: ١٥٩]. جاء عن ابن عباس ﷺ أن هذه الآيَّة نزلت في اليهود والنصارى الذين تفرقوا واختلفوا في دينهم، وجاء عن غيره: أنّها نزلت في أهل البدع، وأهل الشبهات، وأهل الضلالة من هذه الأمَّة. قال ابن كثير: والظاهر أن الآية عامة في كل من فارق دين الله وكان مخالفاً له، فإنّ الله بعث رسوله بالهدى ودين الحق، ليظهره على الدين كله، وشرعه واحد، لا اختلاف فيه ولا افتراق، فمن اختلف فيه [وكانوا شيعًا] أي فرقًا كأهل الملل والنحل والأهواء[٧] والضلالات، فإن الله تعالى قد برّأ رسول الله ﷺ مما هم فيه، وهذه الآية كقوله تعالى: ﴿۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحٗا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ كَبُرَ عَلَى ٱلۡمُشۡرِكِينَ مَا تَدۡعُوهُمۡ إِلَيۡهِۚ ٱللَّهُ يَجۡتَبِيٓ إِلَيۡهِ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِيٓ إِلَيۡهِ مَن يُنِيبُ ١٣﴾ [الشورى: ١٣].

ومن هنا يجب أن يكون الداعي إلى الإسلام أو العاملين من أجل الاتحاد والألفة وجمع الكلمة والتئام الصفوف، والبعد عن الشحناء والبغضاء، والبعد عن الفرقة والاختلاف؛ لأن ذلك يوهن الدين ويضعفه عند أبنائه.

وقد كره النبي ﷺ الفرقة والاختلاف وكل ما يمزق الجماعة أو يفرق الكلمة. فقد كان ﷺ يأمر بالانصراف عن قراءة القرآن إذا خشي من ورائها أن تؤدي إلى الاختلاف، فقد روى البخاري ومسلم عن جندب بن عبد الله ¢ عن النبي ﷺ قال: ((اقرأوا القرآن ما ائتلفت عليه قلوبكم، فإذا اختلفتم فقوموا عنه))[٨]، أي تفرَّقوا وانصرفوا لئلا يتمادى بكم الاختلاف إلى الشر.

وعلى الرغم أن هذا القرآن يدعو إلى الألفة والرحمة والتواد إلا أن البعض يتبع المتشابه منه ويترك المحكم فيؤدي ذلك إلى المنازعة والافتراق، وكل ذلك من حرص الدين على اجتماع الكلمة ونبذ الفرقة بين المسلمين، وسد كل ذريعة تؤدي إلى ذلك، وإن كان في ظاهره حسناً كثيرًا. ففي الحديث من صحيح البخاري قال الرسول ﷺ: ((فإذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه فاحذروهم))،[٩] وفي هذا الحديث، كما قال الحافظ ابن حجر الحض على الجماعة والألفة والتحذير من الفرقة والاختلاف، والنهي عن المراء في القرآن بغير حق.

المطلب الثالث: الغاية من العمل الإسلامي.

ويجب أن يعي المسلم أن نشر الدين ليس مقتصرًا على طبقة دون طبقة، ولا مستوى دون مستوى، فالكل عليه أن يكون ناصحًا داعية لكل خير بما أوتي من وسائل، وكلنا يجب أن نقوم بأمر الدين والتنافس في ذلك. قال الله: ﴿وفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنافَسِ المُتَنافِسُونَ﴾ [المطففين:٢٦] ﴿وسارِعُوا إلى مَغْفِرَةٍ مِن رَبِّكُمْ وجَنَّةٍ عَرْضُها السَّماواتُ والأرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران:١٣٣]. والمسارعة في الخيرات ﴿أُولَئِكَ يُسارِعُونَ فِي الخَيْراتِ وهُمْ لَها سابِقُونَ﴾[المؤمنون:٦١]، كلٌ بحسب طاقته واستطاعته، كما قال شيخ الإسلام ابن تيميَّة ﷺ تعالى: "وقد تبين بهذا أن الدعوة إلى الله تجب على كل مسلم؛ لكنها فرض على الكفاية وإنما يجب على الرجل المعين من ذلك ما يقدر عليه إذا لم يقم به غيره، وهذا شأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتبليغ ما جاء به الرسول ﷺ والجهاد في سبيل الله وتعليم الإيمان والقرآن. وقد تبين بذلك أن الدعوة نفسها أمر بالمعروف ونهي عن المنكر فإن الداعي طالب مستدع مقتض لما دعي إليه وذلك هو الأمر به؛ إذ الأمر هو طلب للفعل المأمور به واستدعاء له ودعاء إليه"(١٠). لذلك كلما كان الإنسان أكثر قربة من الله كان ما يفعله من أجل العلم والعمل ومن أجل الآخرة واغتنام أوقاته في العمل للدين.

والاستمرار في العمل من أجل الدين والسعي في ذلك ما استطاع إلى ذلك سبيلًا يكسب الإنسان حلاوة في الإيمان يستشعر معها طعم الحياة ولذتها حتى يفارق الحياة. فعن وكيع قال: "كان الأعمش قريبًا من سبعين سنة لم تفته التكبيرة الأولى، واختلفت إليه أكثر من ستين سنة، فما رأيته يقضي ركعة"(١١). وكان المحدث الثقة "بشر بن الحسن" يقال له: "الصفّي" لأنه كان يلزم الصف الأول في مسجد البصرة خمسين سنة(١٢). وكحبيب النجار الذي حمل هم دعوة قومه في الحياة، وأبلغ في الحرص على قومه، وحب الخير لهم بعد الاستشهاد، كما ورد في قوله تعالى: ﴿قِيلَ ٱدۡخُلِ ٱلۡجَنَّةَۖ قَالَ يَٰلَيۡتَ قَوۡمِي يَعۡلَمُونَ ٢٦ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ ٢٧﴾ [يس: ٢٦-٢٧]. "فإذا تأملت قوائم عظماء رجالات الإسلام من الرعيل الأول ومن بعدهم لرأيت أن "علو الهمة" هو الوصف المشترك بين كل هؤلاء الذين اعتزوا بالإسلام، واعتز بهم الإسلام، ووقفوا حياتهم لحراسة الملة وخدمة الأمَّة، سواء كانوا علماء أو دعاة أو مربين أو عبادًا صالحين، ولو لم يتحلوا بعلو الهمة لما كان لهم موضع في قوائم العظماء، ولما تربعوا في قلوب

أبناء ملتهم، ولا تزينت بذكرهم صحائف التاريخ، ولا جعل الله لهم لسان صدق في الآخرين، وأسوتهم في حمل هم الأمَّة –بل في كل باب من أبواب الخير"(١٣)

وكلما رأى المسلم الأحداث المؤلمة في العالم من القتل والحرب من أجل الحفاظ على الدين والأوطان، أخذته الغَيْرة للدفاع عن هذا الدين بكل ما أوتي من الوسائل. "لذا يجب على قادة العمل الإسلاميّ والمؤسسات الإسلاميَّة، أن يكرسوا جهودهم واجتماعاتهم لما فيه نفع العباد، وأن لا يضيعوا جهودهم، إلا في حل قضايا مهمة لها غايات عمليَّة يمكن تحقيقها أو تحقيق غالبها، وأن تكون هذه القضايا ذات أولويَّة، وأن يسبق حلها تخطيط وتنظيم يجعلها ذات جدوى، وإن اجتماعات مصغرة لقادة العمل الإسلاميّ وعلمائه، لبحث موضوعات الدعوة الإسلاميَّة والعمل الإسلاميّ، ودراسة ما يجب اتخاذه من خطوات في ذلك دراسة هادئة متأنيَّة يترتب عليها عمل مفيد –ولو قل –خير من كثير الاجتماعات والأعمال الكثيرة غير المجديَة عمليًّا"(١٤).

ويجب ألا نغفل ما يشاهد اليوم من اتجاه الشباب نحو الأعمال التطوعية، وأعمال البر متزامناً مع ازدياد المؤسسات الخيرية. لذلك لابد من تطوير الأفكار التي تساهم في الرقي بالعمل الإسلامي والسماح لأكبر قدر ممكن من شرائح المجتمع المختلفة العمل لأجل الإسلام وتمكينهم من ذلك. ولا يمكن أن تؤتي ثماره إلا إذا توفرت أرضية ثقافية مشتركة يقف عليها وهي التربية والثقافة.

ويجب أن يحرص الشاب المسلم أن لا تمر عليه الشهور الطوال دون أن يساهم في عمل خيري بسيط مع الحرص أن يكون جماعيا؛ لأن العمل بروح الجماعي يذكي الحماس في النفس ويكون أقرب على الصواب والتسديد إضافة إلى ذلك يكون فيه التطوير للأفكار وتحسين درجة الوعي، وتطوير الملكات العقلية المختلفة. والمرأة تستطيع أن تقدم الكثير من الإسهامات في أعمال الخير والبر ولأجل هذا الدين كالتربية والتعليم وكفالة الأيتام، وإقامة الدورات التعليمية والتوعوية والتثقيفية في المجالات المختلفة.

ولا يمكن ترسيخ حب العمل الإسلامي في النفوس إلا إذا بُثَ روح التفاؤل من خلال إطلاق المبادرات الصغيرة، فهذه المبادرات تنشر جواً من المتعة والابتهاج في نفوس الشباب حيث السعادة في العطاء لا الأخذ.

والطموح الكبير اليوم أن تشهد المجتمعات الإسلامية والعربية الكثير الكثير من الأعمال التطوعية لأجل الإسلام، حيث أن العمل الإسلامي قضية أمة وليست قضية

فئة أو جهة معينة.

المطلب الرابع: مجالات العمل الإسلاميّ

في مسند الدارمي أن النبي ﷺ سئل: أي الأعمال أفضل ؟ قال: إيمان لا شك فيه، وجهاد لا غلول فيه، وحجة مبرورة. قيل: فأي الصلاة أفضل ؟ قال: طول القيام، قيل: فأي الصدقة أفضل ؟ قال: جهد مقل، قيل: فأي الهجرة أفضل ؟ قال: أن تهجر ما حرم الله عليك، قيل: فأي الجهاد أفضل ؟ قال: من جاهد المشركين بماله ونفسه: قيل: فأي القتل أشرف ؟ قال: من عقر جواده وأهريق دمه."[١٥].

فهذا الحديث وضح لنا ﷺ فيه الطرائق والسبل من أجل العمل للإسلام ورفعته. وقد أناط الله تعالى بالمسلمين الذين هم أوعية الحفظ والعلم والفهم القيام بأوامر الله المهمة والدعوة إليه وإلى دينه، فالقرآن الكريم هو النور الذي تنطلق منه كل العلوم والمعارف النافعة. يليه السنة المطهرة فمتى اجتمع نور القرآن والسنة في قلب الإنسان أصبح يبث هذا النور لمن حوله من خلال إصلاحه لبيئته ومجتمعه. ولا سبيل للبناء الحضاري إلا عن طريق التمسك بهذا القرآن، فعندما تبني الأمَّة قادة من العلماء والفقهاء يتحركون على أساس المنهج القرآني، ويتميزون برؤيتهم لحقائق الواقع بموضوعيَّة، ومن ثمَّ يكون هناك مواجهة لتحديات العصر المختلفة. عن طريق التكامل والتناصر والتناصح بين أبناء الأمَّة الواحدة وذلك للخروج بالأمَّة الإسلاميَّة من التبعيَّة إلى الريادة، ومن الاستضعاف إلى التمكين، ولا يتأتى ذلك إلا عن طريق الصبر والعمل الدائم.

ويجب ألا نغفل دور المساجد فهي فرصة للدعوة كخطب الجمعة والمحاضرات، والمواعظ في أوقات الصلوات، فهي أساس انتشار العلم والدين، لكن يجب أن يُعلم أن الدعوة لا تختص بالمساجد فقط كما يظنها البعض، فهناك مجالات وطرق أخرى. قال الشيخ ابن باز ﷺ: "فالداعي إلى الله يدعو إليه في غير المساجد، في الاجتماعات المناسبة أو الاجتماعات العارضة، فينتهزها المؤمن ويدعو إلى الله، وعن طريق وسائل الإعلام المختلفة، وعن طريق التأليف، كل ذلك من طرق الدعوة، والحكيم الذي ينتهز الفرصة في كل وقت وكل مكان، فإذا جمعه الله بجماعة في أي مكان وأي زمان وتمكن من الدعوة بذل ما يستطيع من الدعوة إلى الله بالحكمة والكلام الطيب والأسلوب الحسن".[١٦]

لذلك يجب تكريس الجهود وتسخير كافة الوسائل لتحقيق الغايَة المنشودة التي من أجلها قام العمل الإسلاميّ؛ إذ ليس من غايَة الدعوة والعمل الإسلاميّ

التكسب أو التصدر في المجالس والمنابر أو التنفير من هذا الدين كما يفعل البعض من الأئمة والوعاظ. وقد ذكر أحمد أمين وصفًا للداعيَة المنفر من الدين فقال: " إن مما يدعو إلى الأسف أن صوتًا علا، هو صوت اليأس والتثبيط يتغنى به كل أصناف الدعاة فخطيب المسجد تدور خطبته دائمًا على أن من يخاطبهم ليسوا مؤمنين حقًا، فقد ارتكبوا من الآثام والأوزار ما أخرجهم من الإيمان الحق، وأبعدهم عن الدين الصحيح، ولو آخذهم الله بأعمالهم لأمطرهم بحجارة من السماء أو خسف بهم الأرض ثم يصب هذا المعنى كل أسبوع في قالب، وكل القوالب متشابهة متقاربة، ويخرج المستمع وقد ملأ قلبه اليأس، وانقطع الرجاء إلا أن يتداركه الله بعفو ليس جزاء على عمل".(١٧)

لذلك نجد نفور فئام من الناس من هذا الدين لأن نظرتهم كانت مقتصرة على هذا النموذج. إنما الغرض من العمل الإسلاميّ بشتى صوره رفعة شأن هذه الأمَّة والوصول بهذا الدين إلى أقصى غاياته من التمكين والاستخلاف في الأرض. قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٤١﴾﴾ [الحج:٤١]، فهنا تأكيد لأن العمل من أجل الإسلام أمانة تحتاج إلى عزم وقاد لرفع هذا الدين، وإعلاء شأنه مع لين ورفق ورحمة، فهو يحتاج إلى تجديد وقبول التغيير الموافق للشرع الإسلاميّ واستغلال الإمكانات والفرص المتاحة وتطويرها، وبه يصبح العطاء ممكنا وفي كل الظروف.

"ولا نغفل أهميَّة الإعلام في السيطرة على جمهور الناس وتوجيه مشاعرهم الوجهة التي يراها الموجّه إن كانت خيرًا فخير، وإن كانت غير ذلك فهي لما وُجِّهت إليه، ثم تأتي بعد ذلك الصحافة لتؤدّي دورها الفعال وتعمل عملها في عقول الناس، والإعلام في جميع بلاد الدنيا، ما عدا بعض البلاد الإسلاميَّة – يسير وفق خط مرسوم ومنهج واضح بين، يخدم عقيدة من يُسيره، فنجده في روسيا مثلا يحث على المبادئ الشيوعيَّة ويدعو لها ويذب عنها ويبين محاسنها، ويذكر عورات أعدائها ويجعلها –من وجهة نظر الشيوعيَّة– أسمى ما تصبوا إليه قلوب الكادحين، وفي الغرب أيضًا نجد الديمقراطيَّة أو الرأسماليَّة –في معركة الإعلام– هي الظل الوارف الذي ينبغي أن يتفيأ تحته كل من يصبو إلى الحياة السعيدة في دنياه". (١٨)

لذلك فإن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو رسالة الإسلام الخالدة، والذي ينبغي على الدعاة أن يدعون إليه بكل الوسائل والطرق، واستغلالها بما ينفع،

ومزاحمة الباطل بالمفيد النافع بعد أن كثرت وسائل الإعلام، وتنوعت أساليبها واستغلها أعداء الإسلام، في ترويج الفساد، والتشويش على الدعوة الإسلاميَّة، فأصبح لزاما على المسلمين أن يدافعوا على دينهم، وأن يرفعوا الستار عن محاسن هذا الدين الذي يحاول أعداءه توريَّة محاسنه وإظهاره بأنه الأسوأ من بين كل الديانات، وقد أصبح الإسلام في العصر الحديث، يواجه غزوًا رهيبًا محملًا بوسائل الفساد للمسلمين،. وخطورة هذا الغزو أنه يدخل إلى عقول الشباب وقلوبهم دون أن يلتفت الكثير منهم إلى ما دخل عليه من أفكار مسمومة.

ولا بُدَّ أن نعرف أن التأثير الإعلامي من أخطر التأثيرات فهو يشكل إدراكنا للواقع ويتفاعل معه بحسب تصوره له.[١٩] فوسائل الإعلام تعتبر عدو خفي يحارب المسلمين بالكلمة والصورة والفكرة، وهذه الأسلحة أشد فتكا من الأسلحة الماديَّة، لذلك ينبغي أن يوجد إعلام إسلامي قوي يتصدى لهذا الغزو، بكافة صوره وأشكاله، وأن يكون هدفه أن يوصل الدعوة الإسلاميَّة إلى عقول الناس وقلوبهم في جميع أنحاء العالم. لذلك فإننا أذا أردنا التغيير المتدرج نركز على الإمكانات والوسائل البدائيَّة الموجودة، كيما نحيلها إلى وسائل أكمل، فتكون قادرة على تعديل ما يمكن تعديله وتطويره شيئًا فشيئًا. [٢٠]

المطلب الخامس: أسباب الضعف في العمل الإسلاميّ المعاصر

يعد الواقع بكل ما يحمل من مظاهر ووقائع وأحداث بحاجة إلى التغيير، وبخاصة فيما يتعلق بالعمل الإسلاميّ لما طرأ عليه من الفساد والاختلال، لذلك يجب أن يخضع العمل الإسلاميّ اليوم لتصورات إسلاميَّة وقيميَّة لتحكمه وتقوده إلى سُلَّم التغيير والوصول به إلى أكبر غاياته.

والمتأمل في حال العمل الدعوي الإسلاميّ اليوم يجد أنه يفتقر إلى فهم الواقع بشكل صحيح بجميع صوره وجوانبه فنتج عن ذلك ثمار سرعان ما ذبلت قبل قطفها، وذلك نتيجة لعده أمور منها: ضعف الإخلاص في العمل لله تعالى فهو أساس العمل وعصب حياته. قال ابن تيميَّة ¬: "وأما الإخلاص فهو حقيقة الإسلام إذ الإسلام هو الاستسلام لله لا لغيره، كما قال تعالى:﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا...﴾ (الزمر:٢٩)، فمن لم يستسلم له فقد استكبر، ومن استسلم لله ولغيره فقد أشرك". [٢١]

وكل عمل صادر عن الإنسان يجب أن يكون لله فهو نابع عن محبة وإجلال. قال ابن تيميَّة ﷺ:" فجميع الأعمال الإيمانيَّة الدينيَّة لا تصدر إلا عن

المحبة المحمودة، وأصل المحبة المحمودة هي محبة الله سبحانه، إذ العمل الصادر عن محبة مذمومة عند الله لا يكون عملًا صالحًا، بل جميع الأعمال الإيمانيَّة الدينيَّة لا تصدر إلا عن محبة الله؛ فإن الله تعالى لا يقبل من العمل إلا ما أريد به وجهه كما ثبت في صحيح مسلم عن النبي ﷺ أنه قال يقول الله تعالى: "أنا أغنى الشركاء عن الشرك فمن عمل عملا فأشرك فيه غيري فأنا منه بريئ وهو كله للذي أشرك"(٢٢) وفي حديث الثلاثة الذين هم أول من تسعر بهم النار القارئ المرائي والمجاهد المرائي والمتصدق المرائي، بل إخلاص الدين لله هو الدين الذي لا يقبل الله سواه، فهو الذي بعث به الأولين والآخرين من الرسل، وأنزل به جميع الكتب، واتفق عليه أئمة أهل الإيمان. وهذا هو خلاصة الدعوة النبويَّة، وهو قطب القرآن الذي تدور عليه رحاه"(٢٣).ومن الأمور التي نتج منها ضعف العمل من أجل الإسلام الانشغال بالقضايا الهامشيَّة على حساب القضايا الكبرى، وهذا أيضا نتج من ضعف التصور للواقع الذي هو بحاجة إلى فهم وتعمق في قضاياه، فغدى التخبط والتيه وعدم امتلاك الرؤيَة الثاقبة في وضع منهجيَّة للتغيير للأفضل سمة له.

وكما نعلم أن الوحي جاء مصورًا لنا الحياة بشكل شمولي بكل أبعادها ونواحيها، فهو يسعى إلى بناء لبنات اجتماعيَّة راسخة تتناسب مع الفرد المسلم، فالقرآن لا ينظر إلى الحياة بصورة واحدة نمطيَّة بل يميز بين ما هو حسن وبين ما هو قبيح في كثير من الأمور ومنها الأخلاقيات، فقد شبه الكلمة الطيبة بالشجرة الطيبة التي تثمر، وبين الشجرة الخبيثة التي لا تنفع ولا تفيد. فقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِيٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴿٢٦﴾﴾ [إبراهيم:٢٤-٢٦].

أورد الألوسي في تفسيره روح المعاني كلاما بديعًا عن الشجرة الطيبة فقال: "وللإمام الرازي ﷺ تعالى كلام عن الشجرة الطيبة فقال: "الله تعالى ذكر في المثل الأول شجرة موصوفة بأربع صفات ثم شبه الكلمة الطيبة بها. **الصفة الأولى** كونها ﴿طيبة﴾، وذلك يحتمل كونها طيبة المنظر وكونها طيبة الرائحة وكونها طيبة بمعنى كثرة الانتفاع بها. **والثانيَة** كون ﴿أصلها ثابت﴾، وهو صفة كمال لها لأن الشيء الطيب إذا كان في معرض الزوال فهو وإن كان يحصل الفرح بوجدانه إلا أنه يعظم الحزن بالخوف من زواله، وأما إذا لم يكن كذلك فإنه يعظم السرور به من

غير ما ينغص ذلك. **والثالثة:** كون {فرعها في السماء} وهو أيضًا صفة كمال لها لأنها متى كانت مرتفعة كانت بعيدة عن عفونة الأرض وقاذورات الأبنيَة فكانت ثمرتها نقيَّة خالصة عن جميع الشوائب. **والرابعة:** كونها دائمة الثمر لا أن ثمرها حاضر في بعض الأوقات دون بعض، وهو صفة كمال أيضًا؛ إذ الانتفاع بها غير منقطع حينئذ.

ثم إن من المعلوم بالضرورة أن الرغبة في تحصيل مثل هذه الشجرة يجب أن تكون عظيمة، وأن العاقل متى أمكنه تحصيلها ينبغي أن يقوم له على ساق ولا يتساهل عنه، والمراد من الكلمة المشبهة بذلك معرفة الله تعالى والاستغراق في محبته سبحانه وطاعته، التعظيم لأمر الله تعالى ويدخل فيه التأمل في دلائل معرفته سبحانه وكذا محبة الله تعالى والتشوق إليه سبحانه، والمواظبة على ذكره -جل شأنه- والاعتماد عليه وقطع النظر عما سواه، والشفقة على خلق الله تعالى، ويدخل فيه الرأفة والرحمة والصفح، والتجاوز عن الإساءة والسعي، في إيصال الخير إلى عباد الله تعالى، ودفع الشرور عنهم، ومقابلة الإساءة بالإحسان إلى ما لا يحصى، وهي فروع من شجرة المعرفة، فإن الإنسان كلما كان متوغلًا فيها كانت هذه الأحوال عنده أكمل وأقوى، ولا يزال يصعد منه إلى ربه في كل حين ولحظة كلام طيب وعمل صالح وخضوع وخشوع وبكاء وتذلل كثمرة هذه الشجرة وفي قوله سبحانه: ﴿بإذن ربها﴾ دقيقة عجيبة، وذلك لأن الإنسان عند حصول هذه الأحوال السنيَّة والدرجات العليَّة قد يفرح بها من حيث هي هي، وقد يترقى فلا يفرح بها كذلك وإنما يفرح بها من حيث إنها من المولى عز وجل، وعند ذلك يكون فرحه في الحقيقة بالمولى آ، ولذلك قال بعض المحققين: من آثر العرفان للعرفان فقد وقف بالساحل، ومن آثر العرفان لا للعرفان بل للمعروف فقد خاض لجَّة الوصول"[٢٤] وقال أيضا: "وذكر بعضهم في هذا المثال كلامًا لا يخلو عن حسن، وهو أنه إنما مثل سبحانه الإيمان بالشجرة لأن الشجرة لا تستحق أن تسمى شجرة إلا بثلاثة أشياء: عرق راسخ وأصل قائم وأغصان عاليَة فكذلك الإيمان لا يتم إلا بثلاثة أشياء: معرفة في القلب وقول باللسان وعمل بالأركان"[٢٥]

وأما الكلمة الخبيثة: "قال قتادة، في قوله تعالى: ﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴿٢٦﴾﴾، إن رجلًا لقي رجلًا من أهل العلم فقال: ما تقول في"الكلمة الخبيثة"، فقال: ما أعلم لها في الأرض مستقرًّا، ولا في السماء مَصْعَدًا، إلا أن تَلْزَم عُنُقَ صاحبها، حتى يوافي بها القِيامة،

و﴿ما لها من قرار﴾، يقول: ما لهذه الشجرة من قَرار ولا أصل في الأرض تثْبُت عليه وتقوم. وإنما ضُرِبت هذه الشجرة التي وصَفها الله بهذه الصفة لكُفر الكافر وشركِه به مثلًا. يقول: ليس لكُفر الكافر وعَمَله الذي هو معصيَة الله في الأرض ثباتٌ، ولا له في السماء مَصْعَد، لأنه لا يَصْعَد إلى الله منه شيء". (٢٦)

لذا فإن لفهم القرآن فهمًا عميقًا وتنزيل آيات الوحي على الواقع ورصد كل الأحداث والجزئيات والتفاصيل الزمانيَّة والمكانيَّة في مختلف المجالات الحياتيَّة السياسيَّة والاجتماعيَّة والاقتصاديَّة والأخلاقيَّة والثقافيَّة والإعلاميَّة وغيرها، لهو السبيل للسعي في تغيير نمط العمل الإسلاميّ وإعادة بوصلته بالشكل الصحيح. وإن وجود أي أمة وارتقاءها يتوقف على ما تحمل من رسالة، وكلما ضعفت عن حمل تلك الرسالة ووهنت قواها في أداء ما هو مطلوب منها، أو تخلت عن شيء منها نقصت قيمتها بقدر ذلك، وأما إذا تخلت عن هذه الرسالة بشكل كامل فإن مصيرها الاختفاء من الوجود والحياة. قال تعالى: ﴿إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ (١٩) وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾ [إبراهيم، ١٩: ٢٠].

وقد بين ذلك عمر بن الخطاب ﷺ في قول الله تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران:١١٠]، قال: لو شاء الله لقال: أنتم، فكنا كلنا. ولكن قال: كنتم في خاصة من أصحاب رسول الله ﷺ، ومن صنع صنيعهم، كانوا خير أمة أخرجت للناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر. وهذا يدفع الأمة الإسلاميَّة للسعي إلى التميز بقيامها برسالتها في الدعوة إلى الخير والبذل له. ومن الملاحظ أيضًا من أسباب الضعف في العمل الإسلاميّ التعامل مع سيرة النبي ﷺ، ومع التاريخ الإسلاميّ ووقائعه، بنوع من التعاطف مع الأحداث أو الإعجاب أو التذكر لها في بعض المواسم أو أخذ التاريخ كسرد قصصي للمتعة وإمضاء الوقت وهذا لا ينبغي.

يجب علينا أخذ سيرة النبي ﷺ والتاريخ الإسلاميّ وقضاياه بنوع من الجديَّة، واعتبار سيرة النبي ﷺ مدرسة ننهل من معينها الفياض، والاستفادة من التاريخ الإسلاميّ بجميع مراحله وأدواره، والوقوف وقفة تأمل واعتبار والبحث والتبصر بما كان عليه أسلافنا، فهذا هو ما نحتاج إليه لمعالجة القضايا، وعدم تكرار المشاهد السابقة في الأزمنة الغابرة، بل مما يعين على بناء وحدة الصف المؤمن معرفة الداء ومعرفة الدواء المناسب وإرشاد الأفراد إليه وبث الرحمة واللين بين الناس والنصح والإرشاد والحث على التقوى والتفريق بين العامة من

الناس ودرجاتهم في العلم والمعرفة ومراعات حال المدعو. قال الشاطبي: "وكلٌّ يُعطى من العلم حسب طاقته، ولا يذكر للمبتدئ من العلم ما هو حظ المنتهي بل يربَّى بصغار العلم قبل كباره".(٢٧)

وقد حثَّ الدين الإسلاميّ على مجاهدة النفس في الدعوة إليه. قال ابن القيم في زاد المعاد: " أَنْ يجاهدها على الصبر على مشاق الدعوة إلى الله وأذى الخلق، ويتحمل ذلك كله لله. فإذا استكمل هذه المراتب الأربع صار من الربانيين، فإن السلف مجمعون على أن العالم لا يستحق أن يسمى ربانيًّا حتى يعرف الحق ويعمل به ويعلمه، فمن علم وعمل وعلم فذاك يدعى عظيمًا في ملكوت السماوات". (٢٨)

ومن المواقف التي يجب أن نستحضرها في مقامات الدفاع عن هذا الدين قصة حذافة السهمي وهو أحد الصحابة ﷺ: "أنه أسرته الروم، فجاءوا به إلى ملكهم، فقال له: تنصَّر وأنا أشركك في ملكي وأزوجك ابنتي. فقال له: لو أعطيتني جميع ما تملك وجميع ما تملكه العرب، على أن أرجع عن دين محمد طرفة عين، ما فعلت! فقال: إذًا أقتلك. قال: أنت وذاك! فأمر به فصلب، وأمر الرماة فرموه قريبًا من يديه ورجليه، وهو يعرض عليه دين النصرانيَّة، فيأبى ثم أمر به فأنزل، ثم أمر بقدر، وفي روايَة: ببقرة من نحاس، فأحميت، وجاء بأسير من المسلمين فألقاه وهو ينظر، فإذا هو عظام تلوح. وعرض عليه فأبى، فأمر به أن يلقى فيها، فرفع في البكرة ليلقى فيها، فبكى فطمع فيه ودعاه فقال له: إني إنما بكيت لأن نفسي إنما هي نفس واحدة، تلقى في هذه القدر الساعة في الله، فأحببت أن يكون لي بعدد كل شعرة في جسدي نفس تعذب هذا العذاب في الله. وفي بعض الروايات: أنه سجنه ومنع عنه الطعام والشراب أيامًا، ثم أرسل إليه بخمر ولحم خنزير، فلم يقربه، ثم استدعاه فقال: ما منعك أن تأكل؟ فقال: أما إنه قد حل لي، ولكن لم أكن لأشمتك فيَّ. فقال له الملك: فقبل رأسي وأنا أطلقك. فقال: وتطلق معي جميع أسارى المسلمين؟ قال: نعم. فقبل رأسه، فأطلقه وأطلق معه جميع أسارى المسلمين عنده، فلما رجع قال عمر بن الخطاب: حق على كل مسلم أن يقبل رأس عبد الله بن حذافة، وأنا أبدأ. فقام فقبل رأسه" (٢٩)

فهذا الموقف العظيم يظهر إخلاص عبد الله بن حذافة وما لديه من التضحيَة من أجل هذا الدين، وليس هذا فحسب بل فقهه بمدى عظم حمل هذه الرسالة، وكيف أنه تمنى أن له أكثر من نفس تُعَذَّب في سبيل الله. أن تجد شابًا يبذل بذلًا لا انتهاء له من أجل رفعة هذا الدين وإعلاء كلمته، يكاد يندر في هذا الزمان، هذا النموذج

المثالي وغيره من النماذج لا بُدَّ أن تذكر وأن تكرر أمام الشباب وهم سنّ صغيرة وأن تتغذى عقولهم وأفئدتهم بمثل تلك النماذج ليتشبع بفكر سلف هذه الأمَّة ويتخذهم قدوات له في مسيرته وسيره في العمل لله سبحانه.

ومن المهم أيضًا توظيف الطاقات الشبابيَّة المهدرة في المجالات كافة وفق القدرات الذاتيَّة، ومحاولة رد التحديات التي تشده من جهات مختلفة لصرف نظره عن وجهته الأساسيَّة ومهمته الأهم، بل ويمكن توظيف العقل البشري أن يعمل ضمن أطر ومعطيات وفق المنهج الرباني السليم. فالتغيير المنشود في العمل الإسلاميّ اليوم يفتقر إلى تأصيل شرعي، والموازنة بين المصالح والمفاسد، والفهم الجيد للمقاصد الإسلاميَّة والواقع المعاش حتى يتم العمل وفق المعطيات والإمكانات والسعي للتطوير والتجديد بين الحين والآخر للارتقاء بالعمل الإسلاميّ ومواجهته للتحديات المختلفة.

المطلب السادس
التحديات في طريق العمل الإسلامي وطرق مواجهتها

أقدر الناس في التحكم بالقوى الماديَّة في الأرض اليوم هم أقدر الناس على تزويد العقول بالأفكار التي يريدها وأعجز الناس من تهاون ببث الأفكار التي يريدها التي تخدم غاياته للوصول إلى ما يريد. فمهما بلغ الضعف في أمة فإنها بإمكانها أن تستخدم تغذيَة العقول بما تشاء من الأفكار وقلوبهم بما تشاء من قناعات ومعتقدات لخدمة الغايات العظمى للتقدم والتطور.

إنَّ الجمود الفكري يرافقه دائمًا إلف للواقع واستحسان له وعدم الرغبة بالتغيير. وهذا السبب الذي أشارت إليه الآية الكريمة: ﴿قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ [الشعراء: ٧٤]. كل هذا للتقليد والتعصب لما عليه الآباء والأجداد والذي سبب إلى العمى الفكري الذي صرف عن الحق ورؤيَّة الحقيقة".(٣٠)

إن إمكانات المسلمين في نصرة الدين لم يُستغل منها إلا القليل، أمام الكم العملاق من التحديات التي تواجهها والعقبات التي توضع في سبيلها والظروف التي تعمل فيها، فمع إمكانات المسلمين الجبارة التي حباهم الله إياها ماديًّا ومعنويًّا، لم يوظفوا منها لخدمة الدين إلا القليل، ومن التحديات التي قد تعترض المسلم في طريق سيره من أجل الله.

أولا: مواجهة التحديات الفكريَّة:

إنّ الأمَّة الإسلاميَّة لا يمكن أن تحقق الاستقرار الديني والفكري والثقافي والحضاري ما لم تكن متصلة بماضيها العريق ومستمدة قوتها من دستورها القويم

القرآن الكريم والسنة المطهرة وقد شهد الله –ﷻ– للأمة الإسلاميَّة بالخيريَّة فقال: {كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ} فلم تكن هذه الخيريَّة إلا بتمسكها بالدستور المتين، فتقدم الأمَّة الإسلاميَّة مرتبط أشدَّ الارتباط بتمسكها بدينها.

والله –عز وجل– اختار المنهج القرآني وارتضاه لهم لصلاحهم في حالهم ومآلهم، وبين لهم أن هذا القرآن حل لجميع المشكلات والعقبات ومن المشكلات التي تحتاج إلى تصدٍّ لها: مشكلة الغزو الفكري الذي يسعى أربابه الإطاحة بالقيم والأخلاق وهدم أساس هذه الأمَّة وكيانها. وقد أمر الله –عز وجل– بالتمسك بهذا القرآن وتلمس العلاج بين دفتيه. قال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا﴾ [الإسراء:٩]. "يخبر تعالى عن شرف القرآن وجلالته وأنه ﴿يهدي للتي هي أقوم﴾ أي: أعدل وأعلى من العقائد والأعمال والأخلاق، فمن اهتدى بما يدعو إليه القرآن كان أكمل الناس وأقومهم وأهداهم في جميع أموره"(٣١).

"إن الرسالة الإسلاميَّة لم تكن تهدف إلى مال أو جاه، ولكنها كانت تريد أن تكرم بني البشر بخضوعهم إلى توحيد الله وتنزيهه"(٣٢) ومن يغوص في أعماق السيرة المحمديَّة يجد أنه ﷺ وأصحابه تعرضوا لكثير من البلايا والمحن إلا أنهم ثبتوا في وجه تلك التحديات، والمتأمل لحال الدعوة الإسلاميَّة منذ بعثة النبي ﷺ يجد أنها تعرضت لكثير من المشكلات، سواء من قريش أو اليهود والمنافقين أو غيرهم، ومع ذلك فلا تزال هذه الدعوة تعاني من حرب ضروس وقوى كبرى سواء كانت هذه القوى دينيَّة أو ثقافيَّة أو فكريَّة، وبين الحين والآخر تُكشر هذه القوى عن أنيابها، فكانت الحاجة ماسة لتنقيَة فهم المسلمين للشريعة من الشوائب، والسعي لتربيَّة الجيل المسلم للنهوض بالأمَّة من التردي في أوحال التبعيَّة، والحرص على إعادة البناء الفكريّ والتربويّ في النفوس مع تطهير الثقافة من دنس الإلحاد وإيقاف التأثر بالماديات الغربيَّة المقيتة.

وللغزو الفكري آثار طالت بنيان هذه الأمَّة الإسلاميَّة؛ فوهنت القوى وتفرقت الكلمة واستمر العدوان الفكري بهدف التحويل الكامل لهذا الدين عن مساره الصحيح، ولكن مهما يحصل من الضعف والوهن إلا أن هذه الأمَّة لا تموت، وقد قيض الله لها رجالًا يدافعون عنها ويصونون حماها، وما زال في الأمَّة خير باقٍ إلى قيام الساعة. لذلك فإن واجب المسلمين في كل الأصقاع المعمورة توحيد الكلمة والصف في مشارق الأرض ومغاربها نشر الدين وتعاليمه بالقلم وبالأفواه، وأن

يحملوا أنواره في كل مكان مع استحضار الإخلاص لله عز وجل، وبذلك تعود الثمار التي اقتلعتها تلك الأفكار الهدامة. كما يجب أن يمتلك المسلم العقليَّة المتجددة التي تسهم في حل المشكلات المتأسنة، مع فهم أبعاد ومرامي الغزو الفكري والثقافي والأخلاقي، والحد من بث السموم من الانتشار في جسد الأمَّة المسلمة.

"ولا شك أن الأمَّة الإسلاميَّة لا تستطيع حمل رسالتها في الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر إلا إذا كانت تمتلك القوة الرادعة للعقل الغربي الذي لم يتخل بعد، وقد لا يتخلى عن حب العدوان والسيطرة، لاستعباد الآخرين، ونهب مقدراتهم، وإشاعة التخلف في حياتهم. ومن هنا يبرز الجهاد بالكلمة واعتبارها رادعًا للعقل الغربي وآثاره في الفتنة والفساد، ليعكس مفهوم الأمن الإسلاميّ الذي يركز على إيصال الرسالة وتبليغها إلى الآخرين في جو من الأمن الفكري والمادي والنفسي والشعوري، ويزيل العوائق التي تحول بين الناس وبين رؤيَة الحق على حقيقته، وحين تقوم الأمَّة الإسلاميَّة بهذا الدور، وتخوض في سبيله الجهاد الشاق، سيكون (البقاء للأصلح) لا بالمعنى الدارويني الفاسد، وإنما بالمعنى الرباني، قال تعالى: ﴿أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌۢ بِقَدَرِهَا فَٱحْتَمَلَ ٱلسَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا ۚ وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِى ٱلنَّارِ ٱبْتِغَآءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَٰعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ وَٱلْبَٰطِلَ ۚ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً ۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ ﴿١٧﴾﴾ [الرعد:١٧]، وسيُخرج الله بهذه الأمَّة من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده، ومن جَوْر الأديان إلى عدل الإسلام، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة، وستعود الأمَّة الإسلاميَّة مرة أخرى إلى الريادة البشريَّة"(٣٣).

فالأمن الفكري من أكثر الأمور المهمة التي يجب تحقيقها في المجتمع المسلم وتحقيق الاستقرار العقدي والأخلاقي والسلوكي والاجتماعي، والسعي في الوقايَّة من ذلك العدو المتربص لغزو الأفكار والمعتقدات ووضع العلاج الناجع إذا وقع، وحمايَة المجتمع من المهددات والأخطار التي تسعى لهز الثوابت العقديَّة والمقومات الأخلاقيَّة. والرسول ﷺ يبين أن الأمن عامة أعظم مطلب للمسلم في هذه الحياة، وأنه بحصوله كأن المسلم ظفر بما في الدنيا من ملذات ومشتهيات، وكل ما يريده في دائرة الحلال، فعن سلمة بن عبيد الله بن محصن الخطمى عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: ((مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ آمِنًا فِي سِرْبِهِ مُعَافًى فِي جَسَدِهِ عِنْدَهُ قُوتُ يَوْمِهِ فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا)).(٣٤)

ولولا الأمن لفسدت الحياة بشتى مناحيها، والأمن الفكري على رأس أنواع

الأمن وأخطرها أثرًا، ولو اختل الأمن الفكري، وفسدت العقول بالأفكار الهدامة، لاستحل الناس دماء بعضهم بعضًا، فلا يأمن الإنسان على نفسه ولا ماله ولا عرضه، وإذًا لاختلت الحياة بأسرها، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِىٓ أَطۡعَمَهُم مِّن جُوعٖ وَءَامَنَهُم مِّنۡ خَوۡفِۭ ۝٤﴾ [قريش:٤]. والأمن معناه شامل واسع، فهو يسع جوانب الحياة جميعها فكريَّة واقتصاديَّة واجتماعيَّة وثقافيَّة.

وقد بين الله عز وجل الطريق الأسلم للحصول على التوازن في شئون الحياة كافة، قال تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ۝٧﴾ [الحشر:٧]. وهذا شامل لأصول الدين وفروعه، الظاهرة والباطنة. فلا ينبغي لأتباع الدستور القرآني أن يتلقوا أفكارهم وخطة سيرهم إلى الله من البشر الذين لا علم لهم بهذا الدستور فلا يهتدون بهديه ولا يستنون بسنة النبي ﷺ. وقال رسول الله ﷺ: ((تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما كتاب الله وسنة نبيه)).[٣٥] وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن عمر بن الخطاب أتى النبي ﷺ بكتاب أصابه من بعض أهل الكتب فقرأه على النبي ﷺ فغضب وقال: ((أمتهوكون بها يا ابن الخطاب؟ والذي نفسي بيده لقد جئتكم بها بيضاء نقيَّة، لا تسألوهم عن شيء فيخبروكم بحق فتكذبوا به أو بباطل فتصدقوا به والذي نفسي بيده لو أن موسى ﷺ كان حيًّا ما وسعه إلا أن يتبعني))[٣٦]. "ومعنى الهوك أي: التحير، والمعنى: أمتحيرون أنتم في الإسلام لا تعرفون دينكم حتى تأخذوه من اليهود والنصارى!"[٣٧].

فالعقيدة والعبادة والقضايا المهمة للمسلمين لا ينبغي لهم أن يتلقوها إلا من الله ، ورسوله الكريم وما ضعفت الأمَّة، وما انحرفت أفكارها وسلوكياتها إلا بعد أن جعلوا مرجعيتهم أعداءهم. لذلك فإن الأمَّة بحاجة لبناء فكري جديد يحمي عقول أفرادها فالشخصيَّة السويَّة هي التي تميز الحق من الباطل وتحافظ على الثوابت وتراعي المتغيرات، والنفوس العاليَة الطموحة التي تتعلق بمعالي الأمور وترك سفاسفها لأن الله يحب ذلك، وهذا البناء يحمي من الانجراف نحو تيارات فكريَّة وثقافيَّة وحضاريَّة.

ثانيا: مواجهة التحديات الثقافيَّة.

يجب أن تكون من أولى الأولويات السعي في تحقيق الوعي الثقافي لدى المجتمع المسلم ووضع خطط استراتيجيَّة لبناء مستوى ثقافي عالٍ ومواجهه التحديات التي تعترض البناء الثقافي والمشكلات وفق رؤيَة إسلاميَّة. وفي هذا

الزمن تحتاج الثقافة أن تنتشر على نطاق واسع ولا تكون مقتصرة فقط على فئة معينة، فالوعي الثقافي يحتاجه عقل المهندس، ومبضع الطبيب، وقلم الكاتب وحس الشاعر والرسام، ويحتاجه المعلم في المدرسة، والخطيب في المسجد والبائع في دكانه، وتحتاجه بالدرجة الأولى الأسرة في تشييد اللبنة الأساسيَّة لها وفق مستوى فكري وثقافي عالٍ يرقى بوعي الأبناء.

والغزو الثقافي الذي يجتاح الأمَّة أشد فتكًا من الغزو العسكري؛ حيث إنه يشل حركة أفرادها شيئًا فشيئًا حتى تسلبهم أغلى ما يملكون. يقول الإمام الغزاليّ: "إن الأعداء إذا شنُّوا غارة على بلد ما فهم لا ينزلون به سائحين عابرين ولا زائرين متفرجين وإنما ينزلون مستبيحين بيضته، وكاسرين شوكته، فإن كانوا طلاب مغانم استنزفوا خيره ولم يدعوا لأهله إلا الفتات، وإن كان لهم أغراضٌ دينيَّة أو اجتماعيَّة وضعوا الخطط القريبة والبعيدة لمحو شخصيَّة الأمَّة وتغيير ملامحها وكما ينقل النهر من مجرى إلى مجرى آخر تنقل الأمَّة رويدًا رويدًا من مجراها العقلي إلى مجرى آخر يرسمه خصومها ويدفعونها إليه دفعًا"(٣٨)

وقد بين جمال الدين الأفغاني تلك النيات الكامنة في صدورهم، وأن الغرب مناهض للشرق، وأن الروح الصليبيَّة لم تبرح كامنة في الصدور، ولا يزال الغرب يحاول بكل الوسائل القضاء على أية حركة يحاول المسلمون بها إصلاح شئونهم.

وقد نجح الغزو الثقافي في تبديل القيم والاهتمامات لدى كثير من الأفراد في المجتمعات المسلمة. لذلك يجب أن يكون العقل المسلم على درجة عاليَة من التوهُّج لما يحمله من قدرات هائلة تمكّنه من النظر في الأحوال والمشكلات ووضع الأولويات في حل تلك المشكلات وفق ما تربى ونشأ عليه العقل المسلم، ووفق المقاصد الشريعة التي ضمنها الشرع.

"فمن يرى كتب الأصول الإسلاميَّة ومقاصدها يجد أنها حوت الكثير من حقائق التاريخ الإسلاميّ وكيفيَّة دراسة القضايا والأحداث والوقائع وحلها، وهذه الحقائق يجب أن تكون منبع فهمنا للإسلام وثقافتنا وكتابتانا الإسلاميَّة، وقبل ذلك معرفتنا بإسلامنا ووعينا بشريعتنا لصياغة حياتنا على أساسها"(٣٩)

والمدقق في شخصيَّة المسلم قديمًا وحديثًا يجد أن هناك بونًا شاسعًا بينهما، فقد تغيرت شخصيَّة المسلم عما كانت عليه في السابق، ولعل ذلك يرجع إلى ضعف الوازع الديني، والتأثر بمظاهر الدنيا البراقة، والانسلاخ من هُوِيته الإسلاميَّة، التي بها تبنى أسس ثقافتنا الإسلاميَّة. وللقيم الدور الكبير في الحفاظ على الهويَّة

الإسلاميَّة ولمحاربة التحديات الثقافيَّة المختلفة لأن القيم والأخلاق من دلائل كمال الإيمان والعبوديَّة الحقة لله تعالى، "إن الأخلاق الفاضلة من نحو أعمال القلب والعقل والجوارح واللسان مثل صدق الحديث، وأداء الأمانة، وبر الوالدين، وصلة الأرحام، والوفاء بالعهود، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والجهاد للكفار والمنافقين، والإحسان إلى الجار واليتيم والمسكين وابن السبيل، والرفق والرأفة، والدعاء، والذكر، وتلاوة القرآن، وكذلك حب الله ورسوله، وخشيَّة الله والإنابة إليه، وإخلاص الدين له، والصبر لحكمه، والشكر لنعمه، والرضا بقضائه، والتوكل عليه، والرجاء لرحمته، والخوف من عذابه، وأمثال ذلك، كلها داخلة في مفهوم العبادة"[٤٠] ويقول ابن تيميَّة ﷺ تعالى: "لقد فطر الله عباده على محبته وعبادته، فإذا تركت هذه الفطرة بلا فساد، كان القلب عارفًا بالله محبًّا له عابدًا له وحده"[٤١]

لذا يجب أن نؤمن من دواخلنا أننا أصحاب قضيَّة عالميَّة، لكن أعداء هذا الدين يحاولون غرس النظرة الدونيَّة تجاه الدين ووسمه بأنه منقوص مبتور الأطراف متمزق العرى والوشائج. وما زالت هناك جهود مريبة في العالم الإسلاميّ لصناعة جيل يقبل الإسلام بصورته المشوهة، والرضا بما فيه من تحليل الحرام، وقطع روابط الدين وما أمر الله به أن يوصل. ولا نغفل دور الإعلام البارز في التشهير بالثقافات الرديئة عن طريقة الميديا بكافة أنواعها وترويجها بغرض نشر السلبيَّة في المجتمع، وشغل الناس عن الغايَّة التي من أجلها خلقوا.

لذلك يجب السعي إلى رفع المستوى الثقافي وبه يرتفع المستوى الحضاري والسعي والبذل من أجل رفعة هذا الدين، ومن ثم يسهم في إعادة بناء ما ضعف منه طوال في واقع المسلمين في مرحلة السقوط الحضاري التي سادت في تلك الفترة بسبب الظلم والاستعباد، والتي قد استعاذ منها عمر بن الخطاب فقال: "اللهم إني أعوذ بك من جلد الفاجر وعجز التقي".

ثالثًا: مواجهة التحديات الحضاريَّة.

للإسلام دور مهم في بناء نسيج حضاري متين، ولكي تحافظ على هذا النسيج لا بُدَّ لها أن تمنع عنه كل ما يمزقه من الأفكار والمعتقدات، وأن يقود أفراد المجتمع المسلم إلى معرفة أسرار الحضارة الإسلاميَّة ومنع الحضارة الغربيَّة من الزحف إليها وإفساد روح الدين الذي تنبع منه الحضارة الإسلاميَّة على مر العصور. "فالإسلام عقيدة ربانية، ودعوة عالميَّة، يوم تقطعت بهم الأسباب بين الأمم وتمزقت الأنساب بين بني آدم وحواء، فاليوم والدعوة الإنسانيَّة على كل لسان خليق بالإسلام أن يجعلها في كل قلب، وأن ينفذ بها إلى كل ضمير"[٤٢] والانسلاخ

من هذا الدين يكون أيضًا بالتقليد لما يأتي به الغرب وكذلك الجمود أيضًا فكلاهما يؤديان الانسلاخ نفسه، قال جمال الدين الافغاني: "ولقد علمتنا التجارب أن المقلدين من كل أمة المنتحلين أطوار غيرهم، يكونون كالمنافذ التي ينفذ إليها الأعداء، فتقليد الأجانب يقود إلى الإعجاب بهم والاستكانة لهم، والرضا بسلطانهم علينا، وبذلك تتحول صبغة الإسلام من رفع شأنها إلى صبغة خمول وضعة واستئناس لحكم الأجنبي".(٤٣) فهي بذلك يجب أن تكون قائمة على التوحيد والإيمان بالله وكتبه واليوم الآخر وتتمثل الأخلاق وتنتهج الوضوح والصدق والأمانة.

"فكلما ساءت أحوال العالم الإسلاميّ اجتماعيًّا واقتصاديًّا وسياسيًّا علا صوت هؤلاء المستغربين بوجوب تقليد الغرب المتقدم اقتصاديًّا واجتماعيًّا وسياسيًّا؛ ليجعل منه القدوة والمثل، ومع كثرة الهزائم التي تحل بالمسلمين شرقًا وغربًا يزداد ضجيج المعاندين للوحي وترتفع أصواتهم مطالبين بأن يكون الغرب قبلتنا ثقافيًّا واجتماعيًّا ودينيًّا كما هو قبلتنا اقتصاديًّا."(٤٤)

وستبقى الأمة قابعة في التخلف ما دامت بعيدة عن التمسك بالدين الإسلاميّ قال الإمام الغزالي: "إن العالم الإسلاميّ متخلف حضاريًّا ومضطرب أخلاقيًّا واجتماعيًّا وبينه وبين الأمم القائدة الصاعدة أمد بعيد. هذه الأمم تعلم ظاهرًا من الحياة الدنيا وتفتقر إلى جيل من البشر يذكرها بالله ولقائه. والإسلام وحده هو المالك لهذه الحقائق الهاديَّة ولكي تؤدي أمته رسالته يجب عليها أن تطوى مسافة التخلف الحضاري والاضطراب الإنساني الذي يشينها ولا يزينها، بالعودة الجادة إلى كتاب الله وسنة الرسول المصطفى ﷺ، وأن تتقدم بشرف وكياسة لتقول للناس كلهم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَكُم بُرۡهَٰنٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ نُورٗا مُّبِينٗا ١٧٤﴾ [النساء:١٧٤]، ولكي ننجح في عملنا يجب أن نقتفي آثار سلفنا".(٤٥)

فالحضارة الإسلاميَّة يجب أن تكون عاليَة في أهدافها تنظر إلى الأفق الرحب بنظرة تفاؤليَّة لما وهبها من إمكانات وطاقات والتي يجب أن تسخَّر من أجل هذا الدين، والمتأمل في التاريخ الإسلاميّ يجد أن الحضارة العربيَّة هي منبع النور والإلهام للحضارات الغربيَّة، لكن الحضارة الغربيَّة لم تقف مكتوفة الأيدي، بل سعت إلى التطوير والتجديد، وعرفت مكامن قوتها فاستغلتها أحسن استغلال.

واللواء الحضاري الجديد لن يتمكن من حمله إلا الأمَّة الإسلاميَّة لأنها تحمل عقيدة هي أرقى العقائد التي تسهم في بناء أي حضارة، فالأمَّة الإسلاميَّة إذا تكاتفت جهود أفرادها استحقت بجداره أن تحمل ذلك اللواء وتنشر الطمأنينة والرحمة والعيش الرغيد لأفرادها، ومن يتأمل كتاب الله –عز وجل– يجده صرح بخيريَّة هذه الأمَّة

وتفردت من بين الأمم في قدرتها على السيادة الحضاريَّة المرتقبة، فما يحمله المسلم من عقيدة وأخلاق تؤهله لأن يكون من خير أمة أخرجت للناس. قال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١١٠﴾﴾ [آل عمران:١١٠]. وقال –عز وجل–: ﴿الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴿٤١﴾﴾ [الحج:٤١].

الخاتمة والتوصيات:

الحمد لله على تمام هذا البحث وأسأله –عز وجل– أن يجعله نافعًا لكل من قرأه، وأن يغفر لي ما كان فيه من زلل وتقصير، وقد خلصت إلى عدد من التوصيات منها:

- العودة الجادّة للكتاب والسنة وجعلها منهج حياة، واتخاذه الدواء الناجع لكل الأمراض الفكريَّة والثقافيَّة والحضاريَّة.
- العنايَة بالجيل الصاعد من الشباب لبناء فكرهم بناء صحيحًا، وتقريب الشريعة لهم وإيضاح محاسنها.
- النسيج الحضاري الإسلاميّ لا يمكن بناؤه إلا بأيادي علماء أفذاذ متبصرين بعلوم الدين والدنيا للوصول إلى الغايَة المنشودة وهي التمكين في الأرض.

هوامش البحث:

(١) ينظر: نظرات في العمل الإسلاميّ، سلسلة الأمَّة، عمر عبيد حسنة، رئاسة المحاكم الشرعيَّة دولة قطر، ط١، ص١٤.

(٢) رسالة ابن القيم إلى أحد إخوانه، محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزيَّة ت: عبد الله بن محمد المديفر، مطابع الشرق الأوسط– الرياض الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ، ص٢٢.

(٣) جامع البيان في تأويل القرآن، ابن جرير الطبري، ت: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط: ١، ١٤٢٠ هـ– ٢٠٠٠ م، ج٢٣، ص ٢٥٨.

(٤) ينظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، أبو السعود العمادي محمد، دار إحياء التراث العربي – بيروت ج١ ص٢٥٥.

(٥) ينظر: صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني، دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع – القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ– ١٩٩٧ م، ج ١ص٢٢١.

(٦) أمتنا الإسلاميَّة بين التفرق الممنوع والاختلاف المشروع، يوسف القرضاوي، في مجلة مركز البحوث جامعة قطر العدد الرابع ١٤٠٩ هـ، ١٩٨٩م، ص١٦.

(٧) ينظر: تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، ت: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ– ١٩٩٩ م، ج٢ ص١٩٦

(٨) أخرجه البخاري في "صحيحه" كتاب فضائل القرآن– باب اقرءوا القرآن ما ائتلفت عليه قلوبكم (١٩٨/٦) برقم: (٥٠٦٠)، ومسلم في "صحيحه" (٥٧/٨) برقم: (٢٦٦٧) .

(٩) أخرجه البخاري في "صحيحه"(٣٣/٦) برقم:(٤٥٤٧) ومسلم في "صحيحه"(٥٦/٨) برقم: (٢٦٦٥) والدارمي في "مسنده" باب من هاب الفتيا وكره التنطع والتبدع(٢٥٣/١) برقم:(١٤٧)

(١٠) مجموع الفتاوى، تقي الدين أبو العباس أحمد بن تيميَّة، ت:عبد الرحمن محمد قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبويَّة،:١٤١٦هـ/١٩٩٥م،ج١٥ص١٦٦.

(١١) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني، دار الكتاب العربي – بيروت، ج٥، ص٤٩.

(١٢) تهذيب التهذيب، أبو الفضل أحمد العسقلاني، مطبعة دائرة المعارف،الهند، ط: الأولى، ١٣٢٦هـ،ج١ص٤٤٧.

(١٣) ينظر: علو الهمة، محمد بن أحمد بن إسماعيل المقدم الناشر: دار القمة– دار الإيمان، مصر، عام النشر: ٢٠٠٤م، ص٢٥٥.

(١٤) ينظر: السباق إلى العقول، الدكتور عبد الله قادري الأهدل، الناشر: الكتاب منشور على موقع وزارة الأوقاف السعوديَّة.

(١٥) أخرجه النسائي في "المجتبى"(كتاب الزكاة، باب جهد المقل) (٥٠٦/١) برقم: (١/٢٥٢٥)، وأبو داود في "سننه"(كتاب الصلاة، باب افتتاح صلاة الليل بركعتين)، والدارمي في "مسنده"(كتاب الصلاة، باب أي الصلاة أفضل) (٨٩٢/٢) برقم: (١٤٦٤)، إسناد قوي.

(١٦) مجموع فتاوى ومقالات الشيخ ابن باز، عبد العزيز بن باز، أشرف على جمعه وطبعه: محمد بن سعد الشويعر، (٤٠٧/٨).

(١٧) ينظر: فيض الخاطر، أحمد أمين، المكتبة العصريَّة–بيروت، ١٤٤١ هـ، ٢٠٢٠م، ج١ص٤٨.

(١٨) ينظر: المؤتمر العالمي لتوجيه الدعوة وإعداد الدعاة، الجامعة الإسلاميَّة، المدينة المنورة الطبعة: السنة التاسعة– العدد الرابع– ربيع أول ١٣٩٧ هـ/١٩٧٧م، من بحوث المؤتمر، رسالة الإعلام في بلاد الإسلام وعلاقتها بالدعوة الإسلاميَّة للشيخ عبد الله بن إبراهيم الأنصاري، ص١٦١.

(١٩) ينظر: هندسة الجمهور كيف تغير وسائل الاعلام الأفكار والتصرفات، أحمد فهمي، مركز البيان للبحوث والدراسات، ط١، ١٤٣٦ه، ص٣١.

(٢٠) ينظر: وجهة العالم الإسلاميّ،مالك بن نبي، دار الفكر المعاصر،٢٠٠٢-١٤٢٣،ط١،ص٩٩.

(٢١) أمراض القلب وشفاؤها، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم محمد ابن تيميَّة، المطبعة السلفيَّة– القاهرة الطبعة: الثانيَّة، ١٣٩٩ هـ، ص٤١.

(٢٢) أخرجه مسلم في "صحيحه" (كتاب الزهد والرقائق، باب من أشرك فِي عمله غير الله)، (٢٢٣/٨) برقم: (٢٩٨٥) وابن خزيمة في "صحيحه"(كتاب الصلاة، باب ذكر نفي قبول صلاة المرائي بها) (١٤١/٢) برقم: (٩٣٨)، وابن حبان في "صحيحه"(كتاب البر والإحسان، ذكر الإخبار بأن من لم يخلص عمله لمعبوده في الدنيا لم يثب عليه في العقبى، (١٢٠/٢) برقم: (٣٩٥).

(٢٣) المرجع السابق، ص٥٩.

(٢٤) ينظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين الألوسي، تحقيق: علي عبد الباري عطيَّة، دار الكتب العلميَّة– بيروت، ط: الأولى، ١٤١٥ ه، ج٧ ص٢١٩.

(٢٥) المرجع السابق، ج٧ص٢١٨.

(٢٦) جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير أبو جعفر الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ- ٢٠٠٠ م، ج ١٦ ص ٥٨٦ .

(٢٧) الموافقات في أصول الفقه، إبراهيم بن موسى الشاطبي، ت: عبد الله دراز، دار المعرفة – بيروت،، ج ٤ص١٩٠-١٩١.

(٢٨) زاد المعاد في هدي خير العباد، محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزيَّة، مؤسسة الرسالة، بيروت-مكتبة المنار الإسلاميَّة، الكويت، طبعة: رقم ٢٧، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م، ج٣ص٩.

(٢٩) تاريخ دمشق، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر، ت: عمرو بن غرامة العمروي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٥ هـ-١٩٩٥ م، ج٦ص ١١٦.

(٣٠) مكائد يهوديَّة عبر التاريخ، عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، ط٢، ١٣٩٨-١٩٧٨، ص١٩.

(٣١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان – للشيخ عبد الرحمن بن ناصر ابن السعدي- تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق- الناشر: مؤسسة الرسالة- الطبعة: الأولى ١٤٢٠ هـ- ٢٠٠٠ م، ص ٤٥٤.

(٣٢) الدعوة الإسلاميَّة في عهدها المكي: مناهجها وغاياتها، رؤوف شلبي، دار القلم الطبعة: الثالثة، ص٣٥٩.

(٣٣) ينظر: مجلة البيان، ٦١، ص٤٥.

(٣٤) أخرجه الترمذي في "جامعه"(أبواب الزهد عن رسول الله ﷺ، باب)(١٦٧/٤)برقم: (٢٣٤٦)، (١٦٨/٤) برقم: (٢٣٤٦ (م)،وابن ماجه في "سننه" (أبواب الزهد، باب القناعة)(٢٥٣/٥) برقم:(٤١٤١)،حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث مروان بن معاوية.

(٣٥) أخرجه مالك في "الموطأ" (كِتَابُ الْقَدَرِ، النهي عن القول بالقدر) (١٣٢٢/١) برقم: (٦٧٨/٣٣٣٨)، وابن حبان في "صحيحه" (كتاب التاريخ، ذكر إخراج الله جل وعلا من ظهر آدم ذريته وإعلامه إياه أنه خالقها للجنة والنار)، (٣٧/١٤) برقم: (٦١٦٦)،وجملة القول في هذا الحديث أنه حديث ليس إسناده بالقائم لأن مسلم بن =يسار ونعيم بن ربيعة جميعا غير معروفين بحمل العلم.

(٣٦) أخرجه أحمد (١٥١٥٦) واللفظ له، وأبو يعلى (٢١٣٥) باختلاف يسير، والبيهقي (٢٣٣٠) مختصراً، إسناده ضعيف.

(٣٧) غريب الحديث، أبو عبيد القاسم بن سلام الهروي، ت: حسين محمد محمد شرف، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميريَّة، القاهرة، طبعة: أولى، ١٤٠٤ هـ- ١٩٨٤ م، ج٢ص٣٢٤.

(٣٨) الغزو الثقافي يمتد في فراغنا، محمد الغزالي، دار الشروق، ص٣٢.

(٣٩) ينظر: جوانب من الحضارة الإسلاميَّة، عبد الرحمن علي الحجي، مكتبة الصحوة، ط١٣٩٩-١٩٧٩، ص٣٧.

(٤٠) نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم-ﷺ، المؤلف: عدد من المختصين بإشراف الشيخ/صالح بن عبد الله بن حميد إمام وخطيب الحرم المكي الناشر: دار الوسيلة، جدة الطبعة: الرابعة ج١ص٧١.

(٤١) مجموع فتاوى ابن تيميَّة، ابن تيميَّة، ج ١٠، ص ١٧٥.

(٤٢) الإسلام والحضارة الإنسانيَّة، عباس محمود العقاد، مؤسسة هنداوي، ص١٨٨.

(٤٣) ينظر: الأعمال الكاملة لجمال الدين الأفغاني، ت: محمد عمارة، طبعة القاهرة، سنة ١٩٦٨، ص١٩٥-١٩٧.

(٤٤) الوحي والإنسان- قراءة معرفيَّة المؤلف: محمد السيد الجليند. الناشر: دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع (القاهرة) ص٤٤-٤٥.

(٤٥) ينظر: دستور الوحدة الثقافيَّة بين المسلمين، محمد الغزالي، دار الشروق، ص٩٢.

المراجع:

- إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، أبو السعود العمادي محمد، دار إحياء التراث العربي – بيروت، عدد الأجزاء ٩.
- أزمة الثقافة في عصر الحداثة، لماذا تغدو الثقافة سلعة، مجلة سلسة الأنوار. www.researchgate.net/publication/٣٣٧٤٢٨٩٥٦_azmt_althqaft_fy_sr_alhdatht _lma_tghdw_althqaft_slt
- الإسلام والحضارة الإنسانيَّة، عباس محمود العقاد، مؤسسة هنداوي، ٢٠١٢.
- الأعمال الكاملة لجمال الدين الافغاني، ت: محمد عمارة، طبعة القاهرة، سنة ١٩٦٨م.
- أمتنا الإسلاميَّة بين التفرق الممنوع والاختلاف المشروع، يوسف القرضاوي، في مجلة مركز البحوث جامعة قطر العدد الرابع ١٤٠٩ هـ، ١٩٨٩م. عدد الأجزاء ١.
- أمراض القلب وشفاؤها، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيميَّة، المطبعة السلفيَّة– القاهرة الطبعة: الثانية، ١٣٩٩ هـ.
- تاريخ دمشق، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر، ت: عمرو بن غرامة العمروي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٥ هـ- ١٩٩٥م.
- تشكيل عقيلة إسلاميَّة معاصرة، عبد الكريم بكار، دار الإعلام، ط٣، ١٤٣٢-٢٠١١.
- تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، ت: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانيَّة ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م .
- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان– للشيخ عبد الرحمن بن ناصر ابن السعدي– ت: عبد الرحمن بن معلا اللويحق–نشر: مؤسسة الرسالة، ص٤٥٤ طبعة: أولى١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.
- جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير أبو جعفر الطبري، أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ- ٢٠٠٠ م.
- جامع تراث العلامة الألباني في المنهج والأحداث الكبرى، شادي آل نعمان مركز النعمان للبحوث والدراسات الإسلاميَّة وتحقيق التراث والترجمة، صنعاء، اليمن، طبعة: أولى، ١٤٣٢هـ-٢٠١١م .
- جوانب من الحضارة الإسلاميَّة، عبد الرحمن علي الحجي،مكتبة الصحوة، ط١٣٩٩-١٩٧٩م.
- دستور الوحدة الثقافيَّة بين المسلمين، محمد الغزالي، دار الشروق.
- الدعوة الإسلاميَّة في عهدها المكي:مناهجها وغاياتها المؤلف:رؤوف شلبي:دار القلم طبعة:ثالثة
- رسالة ابن القيم إلى أحد إخوانه، محمد بن أبي بكر ابن قيم، ت عبد الله بن محمد المديفر، الناشر: مطابع الشرق الأوسط – الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ.
- روائع حضارتنا، مصطفى السباعي، دار الوراق للنشر والتوزيع، ١٤٢٠ هـ-١٩٩٩م.
- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين الألوسي، تحقيق: علي عبد الباري عطيَّة، دار الكتب العلميَّة – بيروت، ط: الأولى، ١٤١٥ هـ.
- زاد المعاد في هدي خير العباد، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزيَّة مؤسسة الرسالة، بيروت–مكتبة المنار الإسلاميَّة، الكويت، الطبعة: السابعة والعشرون ، ١٤١٥ هـ/١٩٩٤م.
- السباق إلى العقول، المؤلف: الدكتور عبد الله قادري الأهدل، منشور على موقع وزارة الأوقاف السعوديَّة.

- شروط النهضة، مالك بن نبي، المحقق: (إشراف ندوة مالك بن نبي) الناشر: دار الفكر–دمشق سوريَّة عام النشر: ١٩٨٦م .
- صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني، دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع – القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ- ١٩٩٧ م.
- علو الهمة، محمد بن أحمد بن إسماعيل المقدم، دار القمة- دار الإيمان، ٢٠٠٤م.
- غريب الحديث، أبو عبيد القاسم بن سلام الهروي ت: حسين محمد محمد شرف، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميريَّة، القاهرة الطبعة: الأولى، ١٤٠٤ هـ- ١٩٨٤ م .
- الغزو الثقافي يمتد في فراغنا، محمد الغزالي، دار الشروق.
- فيض الخاطر، احمد أمين، المكتبة العصريَّة-بيروت، ١٤٤١، ٢٠٢٠. .
- المجلة الإسلاميَّة، العدد الرابع والتسعون، وسائل القرآن في تحقيق الأمن الفكري.
- مجلة البحوث الأمنيَّة – مجلة دوريَّة – علميَّة – محكمة – تصدر عن مركز البحوث والدراسات بكليَّة الملك فهد الأمنيَّة، بحث للدكتور محمد السيد عرفة بعنوان: مكافحة الإرهاب وتنميَّة الحس الأمني – العدد ٣٠ – ربيع الآخر ١٤٢٦ هـ مايو ٢٠٠٥م.
- مجلة البيان، العدد ٦١.
- مجموع الفتاوى، تقي الدين أبو العباس أحمد بن تيميَّة، ت: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبويَّة، ١٤١٦ هـ/١٩٩٥م.
- مجموع فتاوى ومقالات الشيخ ابن باز، أشرف على جمعه وطبعه: محمد بن سعد الشويعر.
- مستقبلنا بين التجديد الإسلاميّ والحداثة الغربيَّة، محمد عمارة، دار الشروق،١٤٢٣هـ-٢٠٠٣م.
- مشكلات الدعوة والداعيَّة، فتحي يكن. مؤسسة الرسالة، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م.
- مشكلة الأفكار في العالم الإسلاميّ المؤلف: مالك بن بن نبي، دار الفكر المعاصر–بيروت لبنان/دار الفكر، الطبعة: ١٤٢٣ هـ = ٢٠٠٢م/ط١: ١٩٨٨م .
- مكائد يهوديَّة عبر التاريخ، عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، ط٢، ١٣٩٨ هـ-١٩٧٨م.
- الموافقات في أصول الفقه،إبراهيم بن موسى الشاطبي،ت:عبد الله دراز،دار المعرفة، بيروت
- المؤتمر العالمي لتوجيه الدعوة وإعداد الدعاة، الجامعة الإسلاميَّة، المدينة المنورة الطبعة: السنة التاسعة-العدد الرابع-ربيع أول ١٣٩٧ هـ/١٩٧٧م.
- نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم-ﷺ، المؤلف: عدد من المختصين بإشراف الشيخ/صالح بن عبد الله بن حميد إمام وخطيب الحرم المكي نشر دار الوسيلة،جدة طبعة:رابعة
- نظرات في العمل الإسلاميّ، سلسلة الأمَّة، عمر عبيد حسنة، رئاسة المحاكم الشرعيَّة دولة قطر، ط١، ١٤٠٥ هـ.
- هندسة الجمهور كيف تغير وسائل الاعلام الأفكار والتصرفات، أحمد فهمي، مركز البيان للبحوث والدراسات، ط١، ١٤٣٦ هـ .
- وجهة العالم الإسلاميّ، مالك بن نبي، دار الفكر المعاصر، ٢٠٠٢م-١٤٢٣ هـ.
- الوحي والإنسان-قراءة معرفيَّة، محمد السيد الجليند،: دار قباء (القاهرة).
- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني، دار الكتاب العربي – بيروت، عدد الأجزاء: ١٠.
- تهذيب التهذيب، أبو الفضل أحمد بن حجر العسقلاني، مطبعة دائرة المعارف، الهند،ط،١، ١٣٢٦هـ، عدد الأجزاء:١٢.